ابو همام ، **المقاومة عسكريا** (دار الطليعة ، بيروت ١٩٧١)

« المقاومة عسكريا »، لابي همام ، موضوع من وجهة نظر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وأول ما نود تسجيله هو ان هذا الكتاب ليس مؤلفا مترابط الاجزاء بالمعنى العلمي للتاليف والبحث ، فهو في واقعه نتاج عدة مطالعات ومراجعات بوجه عام ، وفيه فصل يدخل في نطاق الدرس الميداني للمقاومة — وهو افضل فصل في الكتاب ، لجهة تناول موضوع المقاومة الفلسطينية — العربية عسكريا — : « ارفعوا ايديكم عن الميليشيا » الذي سنقف عنده وقفة تدقيق ، ونتمنى على كاتبه الاستناد اليه منهجا ومحتوى اذا عاد مرة اخرى الى الكتابة الميدانية البالغة الاهمية ، بعد ان اجتاحت المنطقة العربية سيول من كتب التعميم والتنظير التجريبي الخارجي .

يقول ابو همام في مقدمة كتابه : « ولقد جمعنا في هذا الكتاب مجموعة من الكتابات التي وضعت خلال فترة نشاط المقاومة [وبعض هذه الكتابات مترجم في راينا] ، وكانت تخدم عند وضعها هدفا دقيقا محددا ، ولكنها تشكل بمجموعها اسهاما في القاء الضوء على بعض زوايا المقاومة وسبل نضالها ... » — حتى الان نلاحظ ان الكتاب جملة ينسجم مع هذا الغرض — « وطرحا لعدد من المسائل الهامة بأسلوب جديد ، يؤمن الانسجام بين النظرية والتطبيق ، ويجد صلة الوصل بين المبادىء النظرية والحقائق النابضة الملموسة على أرض المعركة » — وليسمح الان ابو همام ان نختلف معه حول هذه النقطة الاخيرة ، اذ ان كتابه لم يشبعها بحثا الا في فصل واحد ، ووقف عند حدود الملاحظات العامة والمواقف . وهذا بدء لمستقبل . والكتاب يحتفظ بقيمته رغم ذلك . فقضية التقيد بمنهج البحث واهداف البحث ، هي قضية عامة تنطبق على معظم كتابنا وباحثينا .

فهذا الكتاب ، بين الموضوع والمترجم ، هو كتاب نظري عموما ، فيه نسق تعليمي ، قوامه القراءات الاستعراضية وبعض التأملات الميدانية . ولهذا فاننا ، مع ضرورة التعريب والاقتباس ، نحتاج اكثر الى كتابات عربية ميدانية لا سيما في مجال المقاومة عسكريا — والميدانية هنا تجذبنا الى التغلغل في تفاصيل واقعنا الذي تنطلق منه وتجري فوقه المقاومة . واذا كان لكتاب « ابو همام » من وحدة فكرية معينة فانما نجدها في عمومية البحث العسكري السياسي .

يبدأ كتابه بالسؤال اللينيني : ما العمل ؟ ويعطي الجواب من الخارج الى الداخل (اليس العكس هو الاجدى عمليا — الجواب فلسطينيا ، عربيا وعالميا ؟) ، مستندا الى تصنيف للوضع الدولي: مع ، وسط ، ضد . بكين مع ، موسكو — والحكومات « شبه التقدمية » (كما يقول) وسط، الولايات المتحدة ضد . وسرعان ما ينتقل الى وصف الجماهير العربية بالتقاعس عن تكريس قواها لمعركة المصير الفاصلة — ولكنه لا يبحث تفصيليا في الوضع الراهن لهذه الجماهير ، كما يصفها بالعجز « عن ايجاد صيغة تربطها بدول المعسكر الاشتراكي برباط لا يقل قوة عن رباط اسرائيل مع دول المعسكر الامبريالي » . وكان يجدر بالكاتب : اولا ان يراعي منطقه ذاته ، فحينما صنف المعسكر الاشتراكي بأنه ذو موقف وسط ، عاد فورا وسمح لنفسه بمطالبة الجماهير العربية ان تفرض على هذا المعسكر « موقف مع » ، وثانيا كان لا بد له من تحليل معطيات السياسة الدولية الراهنة لكي يوضح لنا اسباب ونتائج تصنيف المواقف الذي أخذ به . ومن مميزات كتابته استخدام تعابير شائعة من طراز : عملية الخداع (وسائل الاعلام) ، « حلم هذا الشعب » ، « الصدمة » ، « التشاؤم ... » الخ . وليسمح لنا الكاتب ان نوضح اننا لم نفهم ما يعنيه بوصف الجيش الملكي بانه « ابيض » ، والبورجوازية الاردنية بانها « بيضاء » . هل عنى بذلك انهما بعيدان عن بصمات الدم أم ماذا ؟ كما اننا لم نفهم ماذا يعني تحديدا بـ « نرجسية » المقاومة ، و « النرجسية الثورية » ؟ هل يعني الانانية ؟ وهل الانانية شيء غير طبقي ، غير اقتصادي واجتماعي ونفسي ؟ شيء خارج التاريخ ؟

وبعد يقدم الجواب على سؤال ما العمل — بعد تحديد ثلاثة اهداف كبرى للمقاومة : البقاء ، احباط المشاريع التصفوية ، قلب ميزان القوى —: بأن العمل المطلوب هو استنزاف العدو الاسرائيلي عربيا ، وتنمية القوة الذاتية الفلسطينية اولا والعربية ثانيا . ويضيف : « ان الطريق طويل ، والخطوة الاولى هي بناء الحزب ضمن صراعنا